تاريخ الادبيات العربية

المراد بالادبيات هنا كل ما يتعلق بعلوم الادب من كتابة وشعر وتأليف وعلى الجملة كل اثرٍ من آثار اللسان والقلم. وقد وقفنا على مؤلَّفٍ حديث في هذا المعنى ظهر سنة ١٩٠٢ باللغة الفرنسوية للاستاذ هُوار احد المدرّسين في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز جمع فيهِ من الكلام على تلك الآثار واربابها ما لم يُجمَع في كتابٍ قبلهُ بحيث تتبّع مرويات هذه اللغة من اقدم ما يؤْثر منها الى هذا اليوم. ولا يخفى ما يقتضي ذلك من ثبات العزم وقوة الجَلَد على المطالعة والتعليق ولا سيما لمن كان اجنبيّ اللسان

على ان المؤلف يعترف بانهُ استعان بكتب الذين تقدموهُ من جماعتهِ وعلى الخصوص بمؤلَّف الاستاذ بُروكلمان من اساتذة المدرسة الجامعة في برِسلُو من بلاد ألمانيا وهو اكثر تلك الكتب احاطةً لكن ذكران جلّ ما فيهِ ينصرف الى تعريف فحوى المؤلفات العربية ولذلك كان بأن يُعَدّ برنامج كتب احرى من ان يُعَدّ تاريخاً للكتّاب

وقد بدأ المؤلّف كتابهُ بذكر الشعر قبل الاسلام ثم بما كان من حال الآداب لعصر الامويين ثم العباسيين ثم ما كان منذ فتح بغداد (في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد) الى آخر القرن الثامن عشر ثم ما كان في القرن التاسع عشر. وقد استقرى الشعرآء والكتّاب في هذه القرون كلها في قبيلةٍ قبيلةٍ من قبائل العرب وفي بلدٍ بلدٍ من الممالك الاسلامية فذكر ما اشتهر لكلٍ منهم مع الالمام بتراجم بعضهم وبيان منزلتهم من الادب. فكان

هذا الكتاب ولا جرَم من اجلّ ما أُلّف في العرب وبيان فضلهم وما بلغوا اليهِ في ابّان حضارتهم . وقد تجاوز علوم الادب الى غيرها من مثل الكيمياء وعلم النجوم والجغرافية والطب والرياضيات والتاريخ والفلسفة والفقه وتكلم على لغة العرب وما كان للحضارة التي طرأت عليهم من التأثير في اخلاقهم وعاداتهم وبالتالي في لسانهم . فجمع في هذا السفر من اسماء الشعراء والخطباء والكتّاب والعلماء واصحاب التآليف المتنوعة ما يجدر بكل عربيّ ان يطّلع عليهِ ليكون على بيّنةٍ من اوّليتهِ وسلفهِ مما لا وجود للكثير منهُ بين ايدينا وكأنّ هذا الرجل يقول للعرب خذوا تاريخكم من رجلٍ اعجميّ

على انّا لا ننكر ان في ادبائنا من انتدب لتأليف كتابٍ جامع من هذا القبيل تتبّع فيهِ آداب اللغة عصراً بعد عصر ونعني بهِ حضرة الفاضل محمد بك دياب من مفتشي اللغة العربية في المدارس المصرية فانهُ قد وضع في ذلك مؤلَّفاً سماهُ تاريخ آداب العرب جمع فيهِ من اثير الفوائد ونادرها ما يعزّ الوقوف عليهِ في سواهُ ولا يُدرَك الا بتصفّح المئات من الاسفار . الا انهُ اقتصر في جلّهِ على تاريخ وضع علوم الادب وسرد اسماء الذين ألّفوا فيها مع ذكر اشهر مؤلفاتهم ولم يكد يذكر غير هذه الطبقة ممن لهُ اثرٌ في شعرٍ او انشاء او تأليفٍ في شيء من العلوم وعلى الخصوص شعراء الجاهلية فانهُ اقتصر على ذكر أسماء اصحاب الدواوين منهم ولم يذكر شيئاً من تراجمهم ولا تكلم على شعرهم فكان كتابهُ اشبه بما وصفهُ المؤلف عن كتاب بروكلمان . على انهُ معذورٌ في الاقتصار على ذلك لفقد ما يستعان بهِ عندنا على معرفة تراجم المؤلفين والشعراء في كل عصر من اعصار الدولة العلمية

في العرب والوقوف على كل ما كان عندهم من العلوم وما كتبوا فيها من المؤلفات فوقف عند ما ارشدتهُ اليهِ معارفهُ الشخصية وما عندنا من العدد القليل من كتب القوم . ولذلك فقد وددنا لوانهُ أُلحق كتابهُ بذكر افراد الشعرآء والمصنفين وغيرهم ممن ذُكروا في المؤلَّف الذي نحن في صددهِ على ان يصحح ما فرط فيهِ من الاوهام ويورد شواهدهُ من كلامهم باصلهِ العربيّ ولو بالتماسهِ من مواضعهِ في المكاتب الاوربية

ونحن على إعظامنا المؤلَّف المذكور واعترافنا بمنزلة صاحبهِ من سعة الاطّلاع والتضلُّع من العربية الى حدٍ لم نجدهُ لغيرهِ من اولئك المستعربين لا يسعنا الا ان نشير الى بعض ما شذّ فيهِ قلمهُ عن الصواب لا بقصد التنديد ولا التسوئة ولكن على امل ان يصححهُ في الطبعات الآتية ليكون الآخذ عنهُ على ثقةٍ من مضمونهِ

فمن اوهامهِ في هذا الكتاب انهُ لما ذكر زُهَير بن ابي سُلمَى المُزَنيّ احد اصحاب المعلقات (صفحة ١٤) ذكر انهُ من عشيرةٍ كانوا كلهم يقولون الشعر ومنهم اختاهُ سُلمَى والخنسآء . ثم قال في صفحة ١٥ ما تعريبهُ «وقد قضى سوء الحظ على الخنسآء ان تجعل شعرها في رثآء اخيها» . فالتبس عليهِ التمييز بين الخنسآء اخت زهير بن ابي سلمى والخنسآء اخت صخر ابن عمرو بن الشريد وشتّان ما بينهما فان هذه من بني سُلَيم وتلك من بني مُزَينة

وذكر في صفحة ٢٧ انها سميت بالخنسآء اي البقرة الوحشية التي في انفها خَنَس . وانما اللفظ بأحد المعنيين لان الخنسآء مؤنث الأخنس وهو الذي تقدمت جبهتهُ وادبر أنفهُ مع بروز الارنبة وأُطلقت على البقرة

الوحشية لانها لا تكون الا كذلك كما سُمي الاسد بالأخثم وهو العريض الانف والضَبُع بالعرجآء لانها تعرج في مشيها وما اشبه ذلك من الصفات التي تُستعمَل خلفاً عن موصوفاتها

ومن ذلك ما رواهُ عن عبيد بن الابرص (ص ٢٢) انهُ كان يقود سرح اختهِ ماوية الى المآء فطردهُ رجلٌ كان هناك وضربهُ على جبهتهِ فعاد منكسراً ونام في ظل اشجار فانتبه شاعراً وذلك ان جنّياً جآءهُ وهو نائم ووضع في فيهِ كُبّة شِعر (poésie) اهـ . وصحة هذه القصة ما ذكرهُ صاحب الاغاني قال كان من حديث عبيد بن الابرص أنهُ كان رجلاً محتاجاً ولم يكن لهُ مال فأقبل ذات يوم ومعهُ غُنَيمة لهُ (تصغير غَنَم) ومعهُ اختهُ ماوية ليوردا غنمهما فمنعهُ رجلٌ من بني مالك بن ثعلبة وجَبَهَهُ فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع بهِ المالكيّ حتى اتى شجراتٍ فاستظلّ تحتهنَّ فنام هو واختهُ . فزعموا ان المالكيّ نظر اليهِ واختهُ الى جنبهِ فقال

ذاك عبيدٌ قد اصاب ميّاً يا ليتهُ ألقحها صبيّاً

فحملَت فوَضَعَت ضاويّا

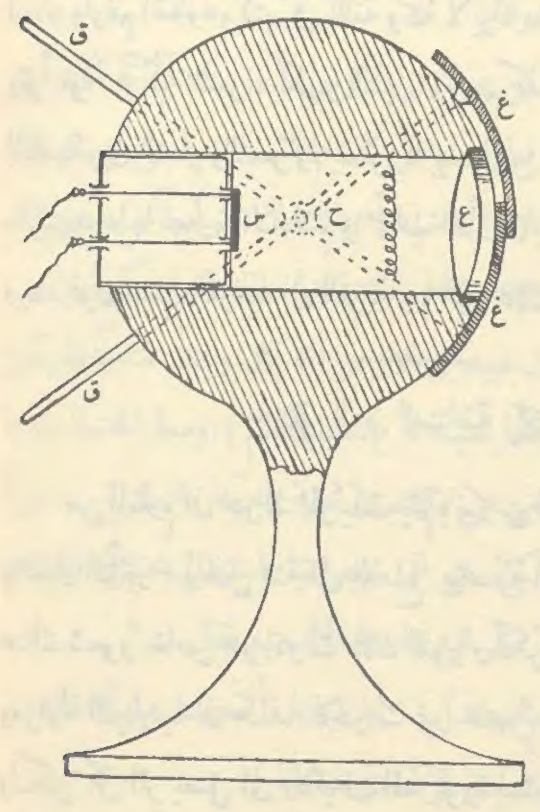
فسمعهُ عبيد فرفع يديهِ ثم ابتهل فقال اللهمّ ان كان فلانٌ ظلمني ورماني بالبهتان فأدِلني منهُ اي اجعل لي منهُ دولةً وانصرني عليهِ . ووضع رأسهُ ونام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فذكر انهُ اتاهُ آتٍ في المنام بكُبّةٍ من شَعر حتى ألقاها في فيهِ ثم قال قم فقام وهو يرتجز شعراً في بني مالك ثم استمرّ بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني اسد غير مُدافَع . انتهى . ففسر قولهُ « جَبَهَهُ » بمعنى ضربهُ على جبهتهِ وما ننكر ان هذا اصل المعنى في

هذه اللفظة لكن المقصود هنا غير ذلك فانهُ يقال جَبَهَهُ اي ردَّهُ عن حاجتهِ واستقبلهُ بما يكره فكأنهُ صكَّ جبهتهُ وهو مجاز كما يقال غلَّ يدَهُ وقطَع لسانهُ وارغم انفهُ وهو كثيرٌ في اللغة وكلهُ لا يراد منهُ حقيقة معناهُ كما لا يخفى . وقرأ قولهُ « كُبَّة شَعر » بكسر الشين وترجم كذلك لانهُ لم يخطر لهُ وجه المناسبة بين الشَعر والشِعر ولم يفطن لما بينهما من المجانسة اللفظية التي كثيراً ما يعتمد عليها معبّرو الاحلام واصحاب الفأل كما يأوّلون الحيّة احياناً بالحياة ويصرفون نعيب الغراب الى الغربة وما اشبه ذلك (ستأتي البقية)

العين الصناعية

من المعلوم ان ادراك المرئيّات يتمّ بانعكاس النور عنها الى شبكية العين وانتقال التأثير الحاصل عنهُ الى الدماغ بواسطة الالياف العصبية فيحدث هناك شعورٌ خاص هو ادراك ذلك النور . لكن الذي عُلم بتكرار المراقبة ومزاولة التجارب ان هـذا الادراك غير مختصٍّ بتأثير النور على الشبكية ولكن كل اثرٍ يصل الى الالياف المذكورة يستحيل في الدماغ الى ادراكٍ بَصَريّ . ولذلك اذا اصيبت العين بلطمةٍ شديدة رُؤي الوفُ من الشرر وهذا ما يعبّر عنهُ الافرنج بقولهم « رأى ستة وثلاثين الف شمعة » ولعلهُ هو المقصود في قول عامّتنا اراهُ نجوم الظُهر . قالوا واذا جُرحت الشبكية لا يشعر المجروح بألم ولكن يرى شبه برق شديد واذا قُطع عصب البصر قطعاً فجآئياً كما يحدث احياناً في الاعمال الجراحية صحبهُ ظهور نورٍ متألق

وهذه الرؤية تحدث عند كل ضغط على المقلة او اهتزاز عنيف حتى عند العطاس احياناً . ومن المجرّبات في ذلك انهُ اذا كان الانسان في موضع مظلم وضغط على جفنهِ بفلكة دبّوس (وهي الهَنَة الصغيرة في اعلاهُ) بحيث يصل اثر الضغط الى المقلة رأى دائرةً من نور وقد تكون ملوَّنة . وهذه الدائرة تُرَى كانها في خارج العين واذا كان الضغط على شمال العين ظهرت الى جهة اليمين منها او على اليمين ظهرت الى الشمال وكذا اذا كان الضغط من اعلاها ظهرت الى الاسفل وبالعكس



ولتعليل عمل النور في الشبكية والعصب البصري اخترع الدكتور وَرنَر سِيمِنْس الالماني آلةً غريبة وهي عينٌ صناعية تشعر بالنور كما تشعر عين الحيوان . وذلك انهُ اتخذ كرةً جوفآء من الزجاج هي المرسومة في الشكل وخرقها من جهتين متقابلتين خرقاً مستديراً وركَّب في احدى الجهتين عدسيّة محدَّبة الوجهين (ع) وادخل في الجهة الثانية سدادةً من الفلّين

الصق بطرفها الداخلي قرصاً من السيلينيوم (س) جعل صلةً بينهُ وبين رصيفٍ كهربآئي يتصل بهِ كلفانومتر (وهو آلةٌ تقاس بها قوة الكهربآئية بواسطة ابرةٍ مغناطيسية توضع فيهِ وضعاً مخصوصاً فاذا تمشّت فيهِ الكهربآئية انحرفت الابرة فاستُدِلّ بمقدار انحرافها على قوة المجرى) . فكانت الكرة الزجاجية بمنزلة المقلة من العين وقطعة السيلينيوم بمنزلة الشبكية والعدسية بمنزلة الرطوبة البلورية . وجعل على الجهة المقدّمة غطآءين من معدن (غ وغ) هما بمنزلة جفنين ينطبقان على العين ويُفتحان بواسطة مقبضين (ق وق) يدوران حول محورٍ في وسط الكرة (ح) وبينهما نابض (زنبلك) من سلك ملفوف لفاً لولبياً يطبق احدهما على الآخر اذا تُرِكَ المقبضان

ثم ان السيلينيوم معدن يشبه الكبريت والفصفور وهو غير موصل للكهربآئية لكن من خصائصهِ انهُ اذا أُحمِي بعد التبلوُر الى ٢٠٠° من الحرارة اصبح بحيث اذا عُرِّض للنور كان من اصلح الموصلات للكهربآئية وهذا هو السرّ في عمل هذه الآلة فانهُ اذا أُرسل عليها شعاعٌ من النور وفُتح الغطآءان القائمان مقام الجفنين حتى ينفذ النور الى قطعة السيلينيوم انتشرت الكهربآئية في الكلفانومتر المتصل بها وانحرفت الابرة للحال . ومقدار انحرافها يختلف تبعاً للون النور فهو فيما ورآء البنفسجي ١٣٩ وفي البنفسجي ١٤٨ وفي الازرق ١٥٨ وفي الاصفر ١٧٨ وفي الاحمر ١٨٨ وفيما ورآء الاحمر ١٨٠ . واذا كان النور ضيعفاً كما بين المغرب والعشآء فلا تنحرف الابرة الا بما لا يكاد يُشعَر بهِ

فيُرى مما ذُكر ان العين الصناعية تشعر بالنور كالعين الطبيعية وتميز

بين لونٍ وآخر الى حدّ انهُ يمكن ان يُعرَف لون النور الواقع عليها ومقدار شدّتهِ من مجرَّد النظر الى حركة الابرة ولولم يُرَ بالعين . وفضلاً عن ذلك فان هذه العين اذا طال تعرُّضها للنور ضعف تأثيرها على ابرة الكلفانومتر فلا بدّ لبقآئها على قوّتها من حجب النور عنها حيناً بعد حين وهو تمام الشبه بينها و بين العين الطبيعية فانها تتعب كما تتعب تلك وتحتاج مثلها الى الراحة والجمام

وعليهِ فلا ريب انهُ لوكانت التموجات الكهربآئية في السيلينيوم تؤثر في العصب البصري كما تؤثر في الكلفانومتر لأُمكن ان يُتوصل بهِ الى جعل الاعمى يدرك الالوان ويميّز طبقات النور واشكال الاشباح لما تقدم من ان كل تهيُّج للعصب البصري يتحول الى نور وان ادراك هذا النور انما هو ادراكٌ لشيءٍ في الشخص المُدرِك لا في الصورة المُدرَكة والله اعلم

ذِكرى الهند

نقتضب ما يأتي من رسالةٍ خطيّة بهذا العنوان لسيادة العلاّمة المطران اثناسيوس نوري رئيس اساقفة بغداد على السريان الكاثوليك وصف فيها رحلتهُ الى بلاد الهند فذكر كل ما شاهدهُ في حلِهِ وترحالهِ من المناظر والحوادث وضمّنها كثيراً من الفوائد التاريخية والجغرافيّة وغرائب الاخلاق والعادات والاديان وغير ذلك مما يحسن وقعهُ عند المطالع . فرأينا ان نستأذن سيادتهُ في نقل ملخَّص تلك الرسالة نجعلهُ طرفةً لقرّآء الضيآء لما فيهِ من طُلاوة الجديد وتبصرة المستفيد . قال أعزّهُ الله بعد الديباجة

ركبنا من بغداد في ٢٩ ايلول (ستمبر) سنة ١٨٩٩ في احدى البواخر الانكليزية التي تسير في نهر دجلة وتتردد بين البصرة و بغداد فبلغنا البصرة في صباح اليوم الرابع من شهر تشرين الاول (اكتوبر) . وكانت يومئذٍ راسيةً هناك عدة بواخر تجارية من اوربا واميركا والهند لتشحن تمراً وعدا هذه البواخر كان كثير من السفن الشراعية آتيةً من جزيرة العرب وزنجبار والبحرين وملابار وغيرها لتبتاع التمر . وقد قدَّر بعضهم ما يصدر من البصرة وضواحيها من هذا النوع بخمسة وعشرين مليون اقة كل سنة الى اوربا ومثل ذلك الى بلاد العرب والهند خلا ما يُنفَق منهُ في البصرة واطرافها وهو يبلغ مقدار ما يرسل الى اوربا . وهذه التمور هي مورد ثروة اهل البصرة حتى يقدَّر دخل بعضهم بزُهآء مئتي الف فرنك سنوياً . وقد اثرى اهل البصرة بعد فتح خليج السويس فانهُ قبل فتح هذا الخليج كان جريب النخل يباع بعشر ليرات فاصبح اليوم لا يباع بأقل من مئتي ليرة

وهذه المدينة قائمة على شطّ العرب وهو مجتمع الفرات ودجلة ومكانها على بعد ٥٢٠ كيلومتراً من الجنوب الشرقي من بغداد و ٨٨ كيلومتراً عن شمال الخليج الفارسي وهي من المدن الاسلامية اختطّها عمر بن الخطاب سنة ١٤ للهجرة (٦٣٦ م) لتكون محطةً للغزاة من العرب . وكانت تنزل بها قوافل العراق والعجم وما بين النهرين وسورية وترسو امامها سفن الهند وخليج فارس وفيها كان جامع علي المشهور . وقد بلغت البصرة في صدر الاسلام شأواً عظيماً وكان سكانها زُهآء ٥٠٠٠٠٠ نسمة ثم لما تعددت الحروب بين دولة المماليك والعرب والفرس وتوالت عليها الاوبئة ففتكت

باهلها فتكاً ذريعاً اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً الى ان كادت تندرس فلما فُتح خليج السويس انتعشت من كبوتها وكان سكانها قبل ذلك لا يزيدون على عشرة آلاف نسمة فاصبحوا اليوم اكثر من ثلاثين الفاً وهي تزداد عمراناً مع الايام

وكان موعد سفر الباخرة القاصدة بمباي في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول فركبنا وسارت بنا الباخرة حتى القت مرساتها في بندر ابي شهر فلبثت هناك بياض يوم ثم اقلعت الى جزيرة البحرين فما كادت ترسو هناك حتى وفدت عليها القوارب مشحونةً بالاموال والخيل العربية وكان فيمن وفد اليها جماعةٌ من تجار الهنود الوثنيين المعروفين بالبانيان ومع كل واحد منهم رزمة او رزمتان فاكثر من اللؤلؤ الذي ابتاعوهُ من الجزيرة المذكورة لان اللؤلؤ يكثر في مياهها فسلّم كلٌّ منهم ما معهُ من الرِزَم الى ربّان الباخرة وأخذ بهِ وصولاً

وهنا لا بأس ان نذكر شيئاً عن هؤلاء الهنود مما شاهدناهُ رأي العين وكانوا نحواً من عشرين رجلاً كلهم من البانيان . وهم يعلمون جباههم بعلامةٍ فارقة تميزهم عن بقية الهنود فيلتطخون بالزرقون وهو صِبغٌ احمر يتخذ من الأُسرُب المحرق ويسمى بالسيلقون والسَرَنْج فمنهم من يجعل اللطخة بشكل نجم وغيرهم يجعلها كنصف دائرة أو دائرة واكثرهم يجعلونها ثلاثة خطوط . وليس لهم من الكسوة الا مئزر يشدونهُ في وسطهم وفي ايام البرد يلتحفون بقطعةٍ من نسيج رقيق . وهم يذهبون الى التقمُّص وهو انتقال الارواح بعد الموت الى اجسامٍ أُخر من الاحياء بشراً كانت أو من

الحيوان الاعجم ولذلك يحرّمون على انفسهم اكل اللحوم على الاطلاق مخافة ان يكون قد حلّ فيها روح احدٍ من اسلافهم . ولا يحلّ لهم ان يأكلوا من طعام غير ملّتهم كما يحرم عليهم ان يأكلوا من نفس طعامهم اذا نظر اليهِ من كان على غير دينهم وكأن الضرورة حلّتهم من ناموسهم هذه المرة فاكلوا وشربوا على مرأى منا ومن سائر الذين كانوا في الباخرة . وهم لا يتأنقون في المآكل بل ان معيشتهم في غاية البساطة ويكتفون من الطعام بالقدر اليسير وكان زعيمهم يوزع عليهم كل صباح قبضةً من اللوز والسكّر وقبل الظهر يجتمعون كلهم ويُعِدّون غدآءهم فيعجنون دقيقاً بدهن النارجيل اي الجوز الهندي ويتخذون منهُ اقراصاً يقلونها بالدهن ثم يقلون شيئاً من الخضراوات وبعدئذٍ يقسم الزعيم عليهم الاقراص والخضراوات واضعاً اياها على ورق من الشجر الهندي فيأخذ كلٌّ نصيبهُ ويلقمهُ بثلاث اصابعهِ

اما مآؤهم فكانوا يحتفظون عليهِ جدًّا فيضعونهُ في جرار من نحاس يغلفونها باكياس مربوطة ومتى شآء احدهم مآء جآء باناآء صغير وحلّ فم الكيس وانزل الاناآء في الجرّة وملأهُ ثم ربط الكيس وبعد ذلك يصبّ على يديهِ قطراتٍ من الاناآء الصغير ثم يشرب منهُ . وهم شديدو القذارة والنتن حتى تقززت انفسنا من رؤيتهم وامست الباخرة ذات رائحةٍ كريهة مدة اقامتهم فيها ولم نرَ احداً منهم استعمل الصابون . وهم مع ذلك اغنيآء تقدَّر ثروة بعضهم بسبعمائة الى ثمانمائة الف فرنك وقد اخذوا كلهم غُرَفاً في الدرجة الاولى من الباخرة

(ستأتي البقية)

مطالعات

تقليل الموت في الاطفال — نشر الدكتور ڤاريو طبيب مستشفى الاطفال في باريز فصلاً جزيل الفائدة شرح فيهِ نتيجة بحثهِ عن سبب موت الاطفال في فرنسا وأَلمانيا وانكلترا بعد ان استقرى الاحصآءات في ذلك مدة العشرين سنةَ الاخيرة فرأَينا ان نذكر مجمل ما توصل اليهِ في هذا الشأن تبصرةً للقرآء قال

عُلِم من تقرير سنة ١٨٨٠ ان عدد الاطفال الذين ماتوا في باريز من عمر يوم الى سنة بلغ ٥١٠ ١٠ وكانت المواليد في تلك السنة ٦٥٢ ٥٦ فيكون عدد الذين ماتوا ١٨٬٧٥ في المئة . وفي سنة ١٨٩٠ كان عدد الاموات في السنّ المذكورة ٥٥٧ ٨ من ٩٢٧ ٥٥ اي على نسبة ١٥ في المئة . وفي سنة ١٩٠١ هبط عدد الوفيات الى ٨٦٤ ٦ من ٥٦٩ ٥٦ فكانوا على نسبة ١٢ في المئة . وعليهِ فيكون معدَّل الذين سلموا في باريز في هـذه العشرين سنة لا اقلّ من ٤٠٠٠ نفس كل سنة

اما الذين هلكوا بالتهاب المعدة والامعآء على الخصوص ففي سنة ١٨٨٠ كانوا ٢٧٤ ٤ وفي سنة ١٩٠١ هبط عددهم الى ١٥٧ ٢ اي نقصوا نحو النصف ، وهذا العدد ليس امراً اتفاقيًا جآء كذلك في هذين التاريخين ولكنهُ نتيجة تدريجٍ متتابع مدة العشرين سنة المذكورة

والذي يظهر من هذا الاحصآء ان عدداً كبيراً من أولئك الاطفال كانوا يموتون بالاسهال والتهاب المعدة والامعآء واذا تتبعنا تاريخ هذا

النقص في عدد الوفيات منهم وجدناهُ قد بدأ من تاريخ الشروع في اتخاذ اللبن المعقَّم في الارضاع الصناعي وفي هذه المدة كلها لم يحدث تبديلٌ في طريقة الارضاع غير ما ذُكر يمكن ان يُحمَل عليهِ هذا النقص الكبير في عدد الذين يموتون بالسبب المذكور

على ان اكثر الذين انتفعوا بهذه الطريقة في الارضاع هم اهل الطبقة السافلة من الاهالي لان اكثر ما كان يحدث هذا الموت في الاطفال بين سكان الضواحي لردآءة اللبن الذي كانوا يتخذونهُ للارضاع الصناعي . اما اليوم فقد اصبح تعقيم اللبن اجبارياً في جميع محاضن الاطفال[1] تحت مشارفة الحكومة وبامدادها اقيم اطبّآء اختصاصيون للاطفال في دُور النِفاس[2] يستشارون عند الحاجة وقُرّر توزيع اللبن المعقَّم على المستشفيات المخصوصة بمعالجة الاطفال

وهذه المنشآت فضلاً عن نفعها الخاص فانها تكون مواضع درس وارشاد للامهات الحديثات العهد بالامومة وبسببها نقصت وفيات الاطفال في باريز في العشر السنوات الاخيرة نحو الربع . على ان اكثر ما يحدث من ذلك مرجعهُ جهل الامهات بطريقة الارضاع ولذلك اخذ ذوو الشأن في جميع الممالك من انكلترا والبلجيك وايطاليا وغيرها يهتمّون بأن يفرضوا لهذه المسئلة درساً مخصوصاً يجعلونهُ في رأس الدروس التي تُلقَى في المدارس الانثوية

-----

(١) جمع محضن وهو مكان خيريّ تودع فيهِ اطفال الفقرآء ممن تضطرّ امهاتهم الى السعي في طلب المعاش فيحتفظ بهم مدة غيابهنّ مجاناً أو بأجر يسير . معرب Creche

(٢) هي اماكن أخر من مثل ما ذكر يتولى فيها امر النفاس . تعريب Maternités

تأثير الضغط على قُراضات المعادن — وقفنا في احدى المجلات العلمية على امتحانٍ غريب اجراهُ البروفسور هُوف من اهل وستفاليا بأن عرّض قُراضات بعض المعادن المنطرقة للضغط فتوصل الى ما لا يخلو من نفع في الصناعة . وذلك انهُ عمد اولاً الى خُراطة نوعٍ من المعدن مركب من ٨٣ جزءًا من القصدير و ١١ من الانتيمون و ٦ من النحاس الاحمر فاخذ نحو ٢٥٠ غراماً من هـذه الخراطة وجعلها في اسطوانةٍ من الفولاذ قطرها الداخل ٥٠ ميليمتراً ثم ضغطها ضغطاً تدريجيًّا الى ان بلغ ٥٠ وسقاً (طنًّا). وكانت اجزآء الخراطة الى ضغط عشرة اوساق متميزة بعضها من بعض ثم اخذت تتضامّ وتتلاحم حتى بلغ الضغط عليها ٥٠ وسقاً فتلاصقت اجزآؤها تلاصقاً تاماً بحيث اصبحت جسماً واحداً وامتنع انفكاك بعضها عن بعض

ثم امتحن ذلك في خُراطة الفولاذ والنحاس والشَّبَه فخرجت كلها اجساماً صلبة صقيلة الجوانب الى حدّ انهُ يمكن ان تلبَّس بالنِكل مباشرةً اي بدون ان يُتكلف كشطها وتنعيمها . ولا يخفى ما في هذا الاكتشاف من الفائدة لاهل الصناعة لانهُ يمكن بهذه الطريقة ان يصاغ كثيرٌ من الادوات بالضغط فتخرج مصقولةً من نفسها بخلاف ما لو كانت مفرَغةً بالسبك فانهـا تخرج خشنة ولا تستغني عن معاناة التنعيم والصقل وفيها ما يصعب صقلهُ كباطن الثقوب التي تدور فيها المحاور والادوات التي في سطوحها نتوءات واغوار من نقش او غيرهِ

اول ظهور النَوَر في اوربا — ننقل هذا الفصل عن النشرة الاسبوعية الغرآء باختصارٍ وتصرفٍ يسير قالت

اتفق منذ ٤٥٠ سنة ان طرق ابواب مدينة لنبرغ على الالپ زمرة غريبة من الرعاع لم يعهد احد من الجرمانيين مثلها ولم تنظر عينهُ مثل وجوهها . وكانت تلك الزمرة نحو ثلاث مئة نفس من الرجال والنسآء ومعهم كثيرون من الاولاد وكانوا جميعاً سُمْر اللون سود الشعور والعيون واثوابهم غريبة الشكل والاقذار تغطّي ابدانهم واثوابهم كأن المآء لم يمسهم منذ خُلِقوا ومعهم خيل وحمير وعجلات . وكان كل ما سألوهُ من حاكم المدينة ان يسمح لهم بالنزول في بعض ارباض المدينة . فلما شاع امرهم خرج بعض اهل لنبرغ لمشاهدتهم فوجدوا انهم يعرفون اللغة الجرمانية ويتكلمون بلغة لا يعرفها احد من الجرمانيين . ولما سألوهم عن امرهم اجابوهم بقصة اخترعوها وكانت تلك القصة مما يناسب احوالهم ويحرّك الشفقة عليهم فزعموا انهم جماعة من مسيحيي مصر اضطهدتهم الامم كثيراً فهربوا واتوا رومية وسألوا البابا ان يباركهم ويقبلهم في الكنيسة فاجابهم الى ذلك ووعدهم بأن يردّهم الى اوطانهم وان يسعى في رفع الاضطهاد عنهم وردّ املاكهم اليهم بعد ان يجولوا في اوربا سبع سنين تُعرَف بها توبتهم وايمانهم . فرقّ لهم الحاكم وسأل اهل المدينة ان يرفقوا بهم ويحسنوا اليهم فأذنوا لهم ان ينزلوا في ضاحية المدينة فضربوا خيامهم السودآء ووضعوا قدورهم النحاسية على النار واضطجعوا عراةً الا ما يستر العورة على الاعشاب وتفرّقت افراسهم وحميرهم حولهم فعجب اهل المدينة لذلك المشهد الغريب . ثم في

صباح الغد تفرّقوا في المدينة وخرجوا منها بعد الغروب الى خيامهم ففقد كثيرون من الناس اشياآء لهم من دنيء المتاع . وبعد ايام قلّ الدجاج وغلا البيض ثم شاع ان كثيرين سُرقت اكياس دراهمهم وسُرق كثير من الآنية الفضيّة والذهبية . ولما تفاقم شرهم وانكشف امرهم اخذ الناس ينظرون في طريقة للتخلص من اذاهم حتى اذا اصبحوا في احد الايام اذا ضيوفهم قد رحلوا ولم يروا سوى رماد ما كانوا يسرقونهُ من الحطب . انتهى

العجوز اليابانية

من نظم حضرة الاستاذ البارع الشيخ فؤاد الخطيب احد المدرسين في المدرسة الداخلية الاميركانية بمدينة صيداء

لا تقولوا بلغ السيل الزُبى ... نحن مزّقنا المدى ايدي سبا
حركتنا غيرةٌ شرقيةٌ ... كاد منها الغرب ان يلتهبا
هزّت الدنيا فمادت كلها ... واضطراباً رقصت لا طَرَبا
ادبتنا الحرب فيما قد مضى ... بخطوبٍ حار فيها الخُطَبا
فعرفنا حلوها من مرّها ... وأَمِنّا شرّها والنُوَبا
كل فردٍ خاض لجّات الوغى ... وهو لا يخشى لديها العطبا
يحسب البارود صوتاً مطرباً ... ويرى سوق المنايا ملعبا
نحن سيفٌ قاطعٌ لكنهُ ... مغمدٌ يحسبهُ الاعمى نبا
ان نكن صفراً فماذا ضرّنا ... هل يعيب الإصفرار الذهبا

* * *

هل سمعتم بعجوزٍ اظهرت همةً شمّاً وحبّاً عجبا
ما لها الاّ وحيدٌ هو في زهرة العمر وريعان الصبا
قدَّمتهُ للوغى اذ انهُ لم يزل ليثاً هَصُوراً اغلبا
ما تصبَّتهُ الغواني في الهوى انما للطعن والضرب صبا
ادهشتنا فحسبنا انها مزحت او عقلها قد سُلبا
فأجبناها وقد لجّت بما تبتغي وهي تميد الطلبا
ان ابنآء الأيامى دأبهم خدمة الأُمّ فعودي للخبا
ما لنا في اخذهِ من مأربٍ قد رضيتِ انتِ والعدلُ ابى

⁂

عند هذا نظرت في حنقٍ ثم ولّت ظهرها المحدودبا
ونأت عنا سريعاً وهي من خيبة المسعى تلظّى غضبا
وانبرت تلثم وجنات الفتى وانهمال الدمع يحكي السُحُبا
ثم قالت يا بُنيَّ اذهب وكن رجلاً يلقى المنايا طَرِبا
ايهِ انا قد بذلنا النفس عن طيبةٍ حين القتال انتشبا
افترضى صفقةً خاسرةً تجعل الذلّ لنا منقلبا
شرف الاوطان لا نتركهُ فعلينا صونهُ قد وجبا
مرحباً بالنعش والقبر اذا نلتُ يوماً من عدوي المأربا
فهما احلى من العيش وما عيش قومٍ عزُّهم قد ذهبا
علمَ الترب الذي استصغرنا ان ذاك العزم فينا ما خبا
قد قضى الميكادُ ان ارجعَ عن مطلبي بل عزّ هذا مطلبا

ان يكن يبغي ليَ العيشَ فلا ذُقتُ يوماً مطعماً او مشربا
فعلى الدنيا سلامٌ انها ما حوت الاّ الشقا والكُرَبا

⁂

ثم لما فرغت من قولها اعملت في صدرها عَضْب الشبا
وقَضَت في الحال كي يبقى الفتى لا يلاقي لقعودٍ سببا
هكذا من كَرِهَ الذلَّ غدا عنده وِرد الردى مستعذَبا

فوائد

تعطير القهوة — يمكن تعطير القهوة بدون ان يتغير شيء من خواصّها وذلك بان يضاف الى الحبّ عند التحميص شيء من كبش القرنفل يحمَّص معهُ فانهُ يطيّب رائحة القهوة ويحسّن طعمها

ازالة رائحة البترول — افضل ما وُصف لذلك ان يُمزَج ٤ او ٥ ألتار من البترول بمقدار ١٠٠ غرام من كلورور الكلس ويُهزّ الوعاء هزًّا عنيفاً ثم يُصَبّ المزيج في اناء فيهِ كلس غير مُطفأ ويُهزّ ايضاً حتى يمتص الكلس الكلور ويُترَك الى ان يرسب ثم يصفّى فلا يكون لهُ رائحة البتة ويبقى نور البترول على قوتهِ

تليين الجلد — وصف بعضهم لتليين الجلد ولا سيما جلد الاحذية ان يُفرَك بالبترول فركاً شديداً فانهُ يلين حتى يصير اشبه بجلد القفافيز ويمتنع ما يحدث فيهِ عادةً من التقشُّر او التشقُّق

اسئلة واجوبتها

لوسينا (جزائر الفيلبيين) — وقفت في احدى المجلات الاسبانيولية على حكاية قرد من النوع المسمى بالاوران كان عند امرأةٍ تحترف بعرض السباع والحيوانات البرية فاتخذت لهُ ثوباً رسمياً مع القميص المكوي والفراك وعلمتهُ ان يلبسهُ ويخلعهُ بنفسهِ وان يجلس الى المائدة ويأكل بالملعقة والسكين والشوكة الى ما شاكل ذلك وقد علمتهُ ايضاً ان يقول «ماما» و« نعم » و« لا » فما قولكم في هذا الحيوان جرجي سالم

الجواب — اما كون القرد يحكي احياناً افعال الانسان من نحو لبس الثوب وخلعهِ واستعمال آلات الطعام وامثال ذلك فهو شيءٌ مألوف بل في الحيوان ما يفعل اعجب منهُ والحكايات في ذلك عن القرود والكلاب كثيرة شائعة . واما انهُ تعلم النطق ببعض الالفاظ فمن المستبعدات لان ذلك خارجٌ عن طوقهِ لفقد آلات النطق منهُ بخلاف الببغاء والزاغ مثلاً فانهما يحاكيان نطق الانسان تمام المحاكاة وان لم يكن فيهما ذكاء القرد

على ان ما ذكرتموهُ ليس بالامر العجب في جنب ما لهجت بهِ بعض جرائد اوربا في هذا العهد من امر الحصان الذي ذكروا انهُ يميز صُوَر الحروف الهجائية ويفهم معنى ما يكتب لهُ وما يخاطَب بهِ ويجيب عن مسائل حسابية الى آخر ما رووا عنهُ واثبتوهُ بشهادة كثيرين ممن يصعب تكذيبهم . وقد كثر حديث الناس في هذا الحيوان واختلفت الاقاويل في حقيقة امرهِ والى الآن لم يتوصلوا الى قولٍ يصح الاجماع عليهِ

بيدأنا شهدنا مرةً مثل ذلك منذ خمس وثلاثين سنة في طائرٍ صغير كان احد المشعوذين قد جآء بهِ الى مدينة بيروت ليعرضهُ في جملة ألعابهِ فاخذ علبةً مستطيلة من خشب قد صف فيها قِطَعاً مربعة من المقوّى (الكرتون) قد كُتِب في كل واحدةٍ منها حرفٌ من حروف الهجآء اورقمٌ من آحاد العدد وهي واقفة على حروفها والواحدة منها لصيقة الاخرى وجهاً الى وجه بحيث لا يرى الناظر منها الا اطرافها العليا . ثم جآء بالقفص الذي فيهِ العصفور وفتح بابهُ فخرج العصفور واخذ يتمشى على العلبة ذهاباً واياباً. فعرض على الحضور ان يقترحوا كلماتٍ يجمع العصفور حروفها من الاوراق التي امامهُ فطلب احدهم ان يتهجأ لهُ كلمة « Amora » فنظر الى العصفور واخذ يذكر لهُ احرف هذه الكلمة واحداً واحداً وكلما سمى لهُ حرفاً يعمد الى العلبة بمنقارهِ فيعالج الورقة التي فيها الحرف المطلوب حتى ينتزعها من بين اخواتها ويلقيها على العلبة فيأخذها المشعوذ ويعرضها على الحضور وهكذا حتى اتمّ الكلمة . ثم سألهُ آخر ان يُخرج عدد السنة واليوم من الشهر فاخرج الاوراق التي فيها الارقام المطلوبة والمشعوذ يعرضها على الحضور حتى لبثوا في اشدّ حالات الدهش لما عاينوا من امر هذا الطائر

اما كيف يحصل ذلك فهو من الاسرار التي لم يُهتدَ الى كشفها واقوى ما قيل فيهِ انهُ من قبيل ما يُفعل في التنويم المغناطيسي من حكم المنوّم على حركات النائم وافعالهِ وتوجيهها في الوجهة التي يريدها وذلك مع وجود علاماتٍ يعرف بها المشعوذ كل واحدةٍ من تلك الاوراق فيوجه منقار الطائر اليها والله اعلم

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

– ٤ –

بعد ما فرغ الكولونيل جيرار من حديثهِ السابق لبث هنيهةً صامتاً وقد اثرت فيهِ ذكرى تلك الحوادث ثم استأنف حديثهُ فقال

اقسم لكم بشرف الجندية الفرنسوية ايها الرفاق انني لم استلّ سيفي في معمعة من حروب امبراطورنا الا كانت جنودنا الظافرة . ولا انكر اني كنت موجوداً في معركة واترلو ولكني لم اخض غمارها ولذلك فشلنا في تلك الموقعة التي اودت بعزّ فرنسا وسطوتها . وقد كنت في ذلك الحين موفداً من قبل الامبراطور لابلاغ الرسائل الى الجيوش المتفرقة فكأن يد التقادير الغير المنظورة حكمت ان لا اقتحم بفرقتي غبار تلك الحرب وان يكون ذلك سبباً لسقوط الدولة . اما انا فقد وُفقت الى اكتساب غار النصر في انسحابي من بولونيا الى ڤينا فان ما فعلتهُ في ليل الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨١٥ يفوق كل اعمالي المجيدة فتعزيني ذكراهُ ويسرّني ترداده . وقد سمعتم ولا شك سيرة ذلك مراراً ولكن لا من فمي لان شروط الآداب اقتضت ان لا امدح نفسي اما الآن فلا بأس من اعادة ذلك على مسامعكم واطلاعكم على حقائق الامر كما حصلت

لم يجمع نابوليون في جميع وقائعهِ جيشاً اشدّ اجساماً واجمل منظراً من جيشهِ سنة ١٨١٣ وذلك لانهُ كان قد نهك فرنسا واخذ منها كل الجنود المحاربة ثم كتب الى الامبراطورة ماري لويز يقول انهُ في حاجة الى جنود فجملت تستعمل نفوذها

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وتمليتها حتى ألّفت جيشاً عرمرماً من الفتيان لم يبلغ اكبرهم العشرين من سنيهِ ودُعي هذا الجيش ماري لويز باسمها . ولكنهم ما لبثوا ان فرّقهم نابوليون فترك قسماً منهم بين ثلوج روسيا وقسماً في سجون مراكب انكلترا والقسم الآخر في أنفاق اسبانيا. وعاد هؤلاء للانضمام تحت راية الامبراطور في سنة ١٨١٥ بعد ان خشنتهم المصائب وحنكتهم التجارب ووضعت الحروب في اجسامهم دماء حارة وقلوباً صوانية . فكانوا يحيطون بالامبراطور وقد بلغ حبهُ من افئدتهم حتى كادوا يعبدونهُ ولم يكن بينهم من يضنّ بروحهِ لو سألهُ بذلها في خدمتهِ . وكان الناظر الى اولئك الابطال يرى في وجوههم شدة العزم والشجاعة ونيران الانتقام فلا يشك في انتصارهم اينما توجهوا . واعتقدت فرنسا عموماً ان مسير اولئك البواسل سيكون الضربة القاضية على الامة الانكليزية فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة

وكان نابوليون قد جمع كل قواتهِ واسرع بي وبمئة وثلاثين الفاً من ابطالهِ الى الحدود الشمالية للايقاع بالالمان والانكليز . فلما كان السادس عشر من شهر يونيو شغل المارشال ناي الانكليز في كاتربرا وكنا نحن قد اشتبكنا مع الالمان في ليني . ولا اصف لكم انتصاري الباهر في تلك الواقعة فان فرقتي الهوسار حملت من غار الفوز ما اثقل كواهلها وتركنا ثمانية آلاف الماني موسدين الثرى . وبعد ذلك وجَّه نابوليون المارشال جروشي لمطاردة الباقين منهم وليقطع عليهم خط الاتصال مع الجنود الانكليزية وارتدّ هو بنفسهِ على الانكليز ومعهُ ثمانون الفاً من الشجعان تتقد في صدورهم نيران الحماسة تحت قيادة امبراطورنا المحبوب

وكان مع ولنتون سبعة وستون الف جندي اكثرهم من الدنمرك والبلجيك لا يضمرون لنا سوءا ولم يكن بين ذلك الجيش اكثر من خمسين الفاً يطلق عليهم لقب ابطال . فلما وجد ولنتون نفسهُ امام نابوليون وجهاً لوجه خارت عزائمهُ ولم يعد يقوى على الحركة ولبثت الجنود الانكليزية في ساحة واترلو كالارنب التي تهجم عليها الافعى فيملكها الدهش والفرق . وكان نابوليون قد فقد احد اركان حربهِ في ليني وامرني ان آخذ مكانهُ فسلمت قيادة فرقتي الى الماجور فكتور وانضممت الى

حاشية الامبراطور وفي صباح الثامن عشر من الشهر المذكور كنت بجانبهِ حين خرج ليستطلع المكان ويرسم خطوط الواقعة . واشرقت الشمس بعد ليلةٍ كان مطرها غزيراً فوقعت اشعتها على كتائبنا فاذا هي كنهرٍ من الفولاذ وقد انعكست اشعتها عن حراب المشاة وسيوف الفرسان وخوَذ المدرَّعين فكانت الجنود الفرنسوية كأنها ارواح نارية . ولم املك نفسي عند مشاهدتي هذا المنظر البهيج فرفعت قبعتي وصحت بأعلى صوتي ليحيَ الامبراطور فردد دعآئي هذا كل فرد من الجيش وارتفعت على اثر ذلك جلبة عالية دامت حتى خالها الانكليز الرعد المتواصل وكأنهم سُحروا في اماكنهم فذابت قلوبهم وايقنوا بحلول اجلهم . ولو اصدر نابوليون امرهُ بالهجوم في تلك الدقيقة لكنا محونا الانكليز عن وجه الارض وتغيرت صفحات التاريخ لانهُ فضلاً عن الشجاعة والحماسة التي كانت فينا اكثر منهم كان عددنا اكثر وجنودنا اوفر تجربةً وقوادنا امهر . غير ان امبراطورنا احب ان نكون على نظامٍ فانتظر ريثما تجف الارض ليتمكن من تسيير مدافعهِ الثقيلة فخسرنا في ذلك الانتظار ثلاث ساعات كان خسرانها سبب هلاكنا وسقوط مجد فرنسا

وبعد الساعة الحادية عشرة سمعنا دويّ مدافع جيروم بونابرت الى يسارنا فعلمنا ان القتال قد ابتدأ واذ ذاك زحفت فرقة ارلون الى اليمين لتشغل الانكليز في الجناحين . وكان نابوليون قابضاً على منظارهِ فاشار الى شيء امامهُ وقال هل تعرفون ما هذا فوجهنا ابصارنا الى الجهة التي اشار اليها وكان امامنا غابان كثيفان بينهما منحدر اجرد فرأينا على المنحدر شيئاً اسود لم يمكّنا البعد من معرفتهِ . اما نابوليون فقال لا ريب ان هذا جيش جروشي وقد سددنا على الانكليز جميع الطرق فهم في قبضة يدي الآن وسأسحقهم سحقاً . ثم اجال نظرهُ فينا ولما بصر بي قال هوذا ملك الرسُل فهل جوادك مستريح يا كولونيل جيرار . قلت ان تحتي فرمي ڤيوليت يا مولاي وكنى بذكر اسمها تعريفاً . قال فأسرع اذاً لملاقاة المارشال جروشي وقل لهُ ليهاجم مؤخر الجيش الانكليزي الايسر بينما نحن نغير على مقدمتهم فلا ينجو واحد منهم . وما تلقيت الامر حتى اعملت المهماز في خاصرتي فرمي فاندفعت بي اندفاع السيل

وكان نبضان قلبي اسرع من وقع حوافرها لسبب السرور الذي نالني بتفويض الامبراطور اليّ امراً مهمّاً كهذا . وخطر لي من شدة الفرح ان اخترق لي طريقاً في وسط ميسرة الانكليز لأبلغ رسالتي بلا تأخير غير انني خشيت ان يختلّ ترتيب الامبراطور اذا اصابني عائق فسرت من طريقٍ اخرى ولو كانت اطول ومررت مرور السهم امام كتائبنا الذين كانوا باسرهم يودعوني بانظارهم ويعجبون بشجاعتي . وما بعدت كثيراً حتى ابتدأت المعمعة واطبقت الجيوش بعضها على بعض وكانت المدافع تصب كراتها من الجهات الاربع . والتفتُّ فرأيت فرقتين من الفرسان قد اشتكبتا تحت خيمة من نصال السيوف فطارت نفسي شعاعاً ووددت ان اعود واهجم بفرقتي معها لانني لا احب ان تقع ملحمة كتلك ولا اكون في وسطها ولذلك اسرعت المسير على امل ان ابلغ رسالتي الى جروشي واعود الى النزال . وما زلت اجد المسير حتى بلغت الغاب الاول وصرت اتوقع الالتقاء بالجيش فلم اسمع ما يدل على اقترابهِ . وبقيت متبعاً الطريق بين الاشجار الملتفة فلم اصادف سوى الحانات الصغيرة التي فتحها اربابها لمتشردي الجنود والفعلة . ولما قاربت اجتياز بقية الغاب وقفت فرسي امام احد تلك الحوانيت واصغيت فقرع اذني صوت الطبل ثم نظرت من خلال الشجر فرأيت في السهل جيشاً عرمرماً يسير بانتظام فاستبشرت ببلوغ المرام وايقنت ان جروشي سيكون في مقدمة الجيش فاقابلهُ حالاً واعود الى جانب امبراطوري . ولكن استوقفني ما رأيتهُ في لباس الجنود من الاختلاف وبينما كنت استوضحهم بنظري شعرت بيدٍ لمستني فنظرت واذا بصاحب الحانوت يقول لي بصوتٍ خافت ماذا تفعل هنا ايها الفاقد العقل . قلت ابحث عن المارشال جروشي . فقال عجّل بالهرب لانك الآن في وسط جيش الماني . قلت ذلك من المحال لان الامبراطور ارسلني لمواجهة جروشي فلا بدّ من الوصول اليهِ . قال قلت لك ان هذا جيش الماني وجروشي وراءهُ فاذا كان لا بد لك من لقاء جروشي فتعال اخفيك الى ان يمرّ الجيش ثم تعود الى اتمام مسيرك . وقبل ان اصمم على شيء قادني الرجل الى امام الحانة وانزلني عن فرسي فاخذها الى اصطبلٍ وراء البناء وجرّني الى داخل

المكان . فرأيت فيهِ امرأة قصيرة القامة حمرآء اللون تطبخ الطعام فلما رأتنا جعلت تجيل نظرها فينا ثم قالت لزوجها ما هذا ومن احضرت معك . قال ضابط فرنسوي اود ان لا يقع في ايدي الالمان . قالت وماذا يهمك من امرهِ . قال الم اكن من قبل متجنداً في جيش نابوليون فكيف اتخلى عن مساعدة رصيفي في الجندية . قالت كنت في جيش نابوليون حين كانت بلجكا تحت سلطانهِ اما الآن فلا ارى في فعلك هذا شيئاً من الصواب لانهُ اذا شعر الالمان بامرك احرقوا البيت علينا لا محالة فاخرجهُ للحال . فوقف زوجها وقد اخذتهُ الحيرة وعلمت ان المرأة لم تفعل ذلك الا خوفاً على نفسها وعلى بيتها فنظرت اليها بحدة وقلت اعلمي ايتها السيدة ان نابوليون يهزم الآن الانكليز وسيكون هنا قبل غروب الشمس فاذا احسنتم معاملتي صادفتم خيراً جزيلاً والا فستقطَّع جثثكم وتحرق ضمن هـذا البنآء . ثم تحولت الى اللين فقلت واني لأعجب من سيدة لطيفة نظيرك لا تدفعها رقة قلبها الى حماية ضابط باسل لجأ اليها . وكانت تتفرس في وجهي وعارضيَّ فظهرت عليها ملامح اللطف والرقة و باقل من خمس دقائق تصافينا وتحابينا حتى ان زوجها تهددني بافشآء امري اذا لم اكف عن مداعبة زوجتهِ . ثم قال لي اسرع اسرع الى المختبأ فقد اقترب الالمـان ودفعني الاثنان الى سلم اوصلني الى سقف الغرفة وكان هناك بابٌ خفيٌ دفعتهُ فانفتح ودخلت فأغلقهُ ورآئي . ولم اكد افعل حتى سمعت قرعاً على باب الحـانة تبعهُ كلام بعض الجنود الالمانية في الداخل . وكان المحل الذي دخلتهُ بين سقف البنآء والآجرّ اتخذوهُ لخزن بعض موجوداتهم فرأيت فيهِ عدداً من القناني الفارغة وكومة من الحشيش اليابس لعلف البهائم . فجلست على كومة الحشيش افكر في ما يجب عملهُ فرأيت الافضل ان انتظر الى ان اتمكن من الخروج لملاقاة جروشي وتبليغهِ رسالتي . وخالفت عوائدي هذه المرة باجتناب الاخطار لانني علمت ان مستقبل فرنسا متوقف على دراية ملك الرسل كما لقبني الامبراطور

ونظرت من خلال الالواح الخشبية الى اسفل فوجدت ان الالمان الذين دخلوا بعدي جرّاح احضر بعض المجاريح وكان يهتم بتضميد جراحاتهم . ثم

سمعتهُ يسأل صاحبة المكان عن فراش ولو من الحشيش فانكرت وجودهُ . فقال لا بد ان يكون عندكم شيء من الحشيش اليابس فوق وهمَّ بارتقاء السلم فجعلت تمانعهُ وتغلب عليها اخيراً فصعد وفتح الباب فاسرعتُ ووقفت وراءهُ حتى اطبقهُ بعدهُ ثم تقدمت اليهِ والسيف مصلتٌ بيدي . فلما رآني ارتعشت اعصابهُ وقال من انت قلت لا يهمك امري فانا قاتلك اذا تكلمت او صديقك اذا صمتَّ . قال انا طبيب لا شأن لي في القتل فاذا تركتني آخذ شيئاً من هذا الحشيش اعدك اني انسى وجودك حالما اخرج من هنا . ورأيت في هيئتهِ ما دلني على صدق قولهِ فسمحت لهُ وتأبط شيئاً من الحشيش ونزل فبقيت اراقبهُ الى ان وصل الى رفاقهِ وعاد الى مداواتهم بدون ان يذكر شيئاً . و بعد حينٍ ظننت ان الجيش الالماني قد مرَّ كلهُ فنظرت من مخبإي الى الخارج فرأيت جيشاً آخر يقترب تابعاً الاول وظننتهُ لاول وهلة جيش جروشي ولكن ساء فألي فانهُ لم يكن الا جيشاً المانيًّا ثانياً يتبعهُ جيشٌ ثالث عن بعد . فاسودّت الدنيا في وجهي وعلمت انهُ لا يمكنني مغادرة المكان في ذلك اليوم فماذا يحل بتدبير الامبراطور اذا لم تصل الرسالة في وقتها . ولم ادرِ ان التقادير قد عرقلت مسعاي وسجنتني هناك لغاية اسمى ونهايةٍ اهمّ لانهُ ما اقترب الجيش الثاني حتى انفرد منهُ رجلان احدهما قد وخطهُ الشيب والآخر فتى فدخلا الحانة وجلسا الى مائدة بسطا عليها خريطة وجعلا يقيسان ابعادها ويتكلمان كلاماً لم اسمعهُ . و بعد هنيهةٍ دُفع الباب ودخل رسول انكليزي قد سال دمهُ وانتهكت قواهُ وخار عزمهُ ولكنهُ تمالك وقال اين الجنرال بلوخر . فقال اكبر الاثنين هاءنذا. فقال الرسول قد اوفدني الدوق ولنتون لابلغك ان الجيش الانكليزي يستطيع الثبات طويلاً ويسألك الاسراع في الزحف للتضييق على الفرنسويين من الجانبين . ولم يكد يتم رسالتهُ حتى سقط الى الارض فاقد القوى . فنظر بلوخر الى رفيقهِ الفتى وقال سنفعل كذلك فأوفد يا جنيسنو رسولاً الى ولنتون يعلمهُ بقيامنا وها انا ذاهب لاعجل مسير الجيش . ولما خرج نادى جنيسنو فارساً وقال لهُ اختر لك عشرة رفقاء من الاشداء نظيرك واسرعوا الى ما بين كنابٌ وشارلروا فانني موقن بانكسار الفرنسيس

ولا بد من رجوع نابوليون بدون حرس من تلك الطريق فتقبضون عليهِ لاننا اذا كسرناهم وبقي هو مطلقاً لا يلبث ان يجمع جيشاً آخر ويعود الى مضايقتنا فاذا اسرناهُ انهينا شرورهُ وارحنا العالم باسرهِ . وانا افوض هذا الامر اليك لما فيهِ من الشرف الذي اذا حصلت عليهِ ردَّد التاريخ اسمك الى الابد

وكان الفارس يسمع الامر بسكون فتفرست فيهِ وعرفت انهُ من الاشخاص الذين يخشى بأسهم . ثم رأيتهُ خرج فانتخب عشرة فوارس اسرَّ اليهم كلاماً وانطلقوا جميعاً انطلاق الرياح . واذ ذاك لم اعد املك صبري فنسيت جروشي ومهمتي وكل شيء الا سلامة الامبراطور فعزمت ان اتخلص من ذلك المكان بأي وجهٍ امكن وابذل جهدي للاجتماع بنابوليون فأسهر عليهِ وانقذهُ من كل خطر مفاجئ وقوَّى عزمي على هذا الامر ما سمعتهُ من كلام الجنود عن تقهقر الجيوش الفرنسوية وهلاك كتيبتين من الفرسان فأيقنت انهُ لو كان امبراطورنا نفسهُ مكاني لرأى ان رجوعي الى المعسكر احزم وافضل من متابعتي السير لملاقاة جروشي ولا سيما لانهُ لم يعد في امكاني الوصول اليهِ قبل اليوم الثاني فتكون المعركة قد انتهت

وبعد ذلك عدت الى نافذة السطح اراقب منها الجيش الالماني فرأيت ان قسمهُ الثاني قد مرَّ وسمعت اطلاق مدافعهِ مما دلني على انهُ قد بدأ بالهجوم بدون تأخير ورأيت القسم الثالث لا يزال بعيداً . فقررت ما يجب عملهُ في الحال وفتحت باب محبسي ونزلت السلم غير مبالٍ بأحد . وكان في الغرفة بعض الجرحى ممن ذكرتهم قبلاً لا يقوون على الحركة والجرَّاح والرسول الانكليزي . فلما صرت بينهم حاول الرسول المذكور ان ينهض لمقاومتي وهو يصرّ بأسنانهِ فجرَّدت سيفي في وجههِ وتهددتهُ بالموت العاجل فسكن . ثم اقتربت الى عباءتهِ وكانت ملقاةً الى جانب وقلت اني لن اضركم بشيء انما احتاج الى هذه العباءة فهل تسمح لي بها . فقال بحنقٍ خذها ولكن اعطني الصندوق الذي في جيبها . قلت معاذ الله ان اسلبك من محتوياتها شيئاً وكنت قد اخرجت من جيوبها منظاراً وصندوقاً صغيراً فدفعتهما اليهِ وقبل ان انقل خطوةً واحدة فتح الصندوق واخرج منهُ غدارةً صوَّبها الى صدري

فاختطفتها من يدهِ بأسرع من النسيم ثم رفستهُ برجلي فسقط الى الارض وللحال قفزت الى الخارج وما بلغت الاصطبل حتى امتطيت فرسي وجعلت انهب الارض نهباً . وتحقق لي وجود الامبراطور في ارتباك لانني سمعت دوي المدافع الالمانيـة يبتعد عني وكان ينبغي ان يقرب الى جهتي لو انكسروا وخشيت على الامبراطور ان يجبر على الفرار ويقع في ايدي الكمين قبل ان اصل اليهِ فاضطررت ان اخاطر بحياتي وامرّ بين الجيوش الالمانية لانني لو ذهبت من طريق اخرى لفاتني الوقت. وكانت العباءة التي اخذتها من الرسول الانكليزي تستر كل جسمي فصار من السهل مروري بينهم ولكن لو كلموني لعرفوا للحال من لهجتي حقيقة امري فانني مع كوني في اثناء حروبنا قد تعلمت اللغة الانكليزية من الفتيات حسب عادتي لم اكن احسن لفظها جيداً . و بلغت ساقة الجيش الالمـاني فلم يخطر لهم قطّ ان الكولونيل جيرار يفعل مثل هذا الجنون وعدُّوني من رسل اركان الحرب فأوسعوا لي طريقاً بين صفوفهم اخترقتهُ كمرور السهم ودخلت في قلب الجيش فرأيت عيون الجميع متجهة اليّ وحاول بعضهم ان يستوقفني ليسألني عن مهمتي فخطر لي للحال ان صحت بالالمانية اين الجنرال بلوخر . وكأن هذه الكلمة كانت طلسماً فتح لي الطريق وصرت كلما رأيت جنوداً في طريقي اقول الجنرال بلوخر فينفرجون من امامي . و بعد ان قطعت مسافة ميلين تقريباً تقدم جندي فأخذ بعنان فرسي وقال ها هو الجنرال بلوخر الى يمينك . فنظرت واذا ببلوخر حقيقةً بالقرب مني فطـار رشدي وايقنت بالهلاك ولكن قوة عقلي وذاكرتي لم تفارقني فتذكرت للحال ما سمعتهُ في الحانة من ان الجنرال بيلو في مقدمة الجيش فقلت للجندي انما رسالتي الى الجنرال بيلو . فرفع يدهُ وقال اذاً اسرع الى المقدمة يا صاح وليكن الله معك . وما صدقت ان سمعت منهُ ذلك حتى اسرعت وجعلت اصيح بأعلى صوتي الجنرال بيلو الجنرال بيلو كلما رأيت امامي جنودا و بقيت على هذه الحالة حتى بلغت مقدمة الجيش وانا لا اصدق انني فعلت ذلك . فلما رأت صفوفهم الامامية في تقدمي ما يدعو الى الارتياب اسرع اثنان منهم لتعقبي فتخلصت منهما بأن طعنت الاول بسيفي فألقيتهُ صريعاً واطلقت

غدارتي على الآخر فألحقتهُ بصاحبهِ ثم طرحت عني العبآءة ليظهر من تحتها الكولونيل جيرار وليعلم الالمان ايّ طريدةٍ قد تخلصت من بين ايدي ستين الفاً منهم

ولم يعد عليّ سوى اجتياز ذلك السهل فطابت نفسي ولكن وا اسفاه فان المنظر الذي رأيتهُ حينئذٍ نزع كل ما بقي فيّ من الامل فاني رأيت كتيبة الحرس الامبراطوري تتقهقر وقد بانت عليها علائم الانكسار والهلاك . وكنت اعلم ان الامبراطور لا يستعمل الحرس الا عند آخر الشدة والاضطرار فايقنت انهُ لم يعد من املٍ لفرنسا في تلك الواقعة . ثم رأيت الجنود الانكليزية قد رفعت قبعاتها وصاحت صياح الانتصار وهي هاجمة من جميع الجهات تطارد كتائبنا فأجبرت على السير معهم وهم مندفعون كالسيل الجارف ورأيت بين الفرسان من بقي من فرساني الهوسار فكسرت فؤادي حالتهم وكانوا قد فقدوا في الواقعة قائدهم وسبعة ضباط وخمسمئة قتيل . فلما رأوني تألبوا حولي ولم ينطقوا بكلمة فاعدت نظامهم واخبرتهم ان لا بد لي من مفارقتهم الى حين وامرتهم ان ينجوا بنفوسهم وينتظروني في سانت اوناي حيث اوافيهم بعد قضآء مهمتي . ولما سنحت لي اول فرصة فصلت عن الجيش وسرت في عرض البيدآء لاقتفآء الامبراطور بعد ان استدللت على الجهة التي ذهب فيها . فمررت بين القتلى والجرحى وكانوا منتشرين في السهل على مسافة ميل طولاً ونصف ميلٍ عرضاً وهو منظرٌ لن انساهُ طول حياتي . ورأيت في جملة ما رأيتهُ ضابطاً كُسرت رجلهُ كان يستغيث بالجنود كي لا يدوسوهُ ولكن لم ينتبهوا لصراخهِ وآخر قطعت يدهُ وكان الدم يتدفق من صدرهِ بغزارة وفارساً تهشم جسدهُ فاطلق غدارةً على جوادهِ فاماتهُ وافرغ الاخرى في رأسهِ فسقط فوقهُ . ثم رأيت رجلاً مكشوف الرأس وقد تغطى وجههُ بسواد البارود وتمزقت ثيابهُ وهو يطفر ويصيح تعالوا انظروا كيف تموت مارشالية فرنسا وعرفتهُ للحال انهُ المارشال ناي . ولقد صدق القائل ان الفرنسويين في الهجوم فوق البشر وفي الانهزام اضعف من النسآء . ثم مررت على كوكبة من فرسان الحرس الخاص وقد احاطت بها المدافع الانكليزية وجعلت تفتك بها فتكاً ذريعاً فسألتهم لماذا لا يبادلونهم اطلاق النار

فقال قائدهم لان بارودنا قد نفد . قلت ولماذا لا تفوزون بالنجاة . قال اننا نقف هنا لنعوق هؤلاء الملاعين عن اتباع الامبراطور . فتأثرت من هذه التضحية وسرت وانا امسح دموعي . وما زلت مجدًّا حتى اجتزت كنابّ فرأيت الامبراطور ممتطياً جواده ُ وعلى وجههِ امارات اليأس الشديد ومثلهُ من كان معهُ من الفرسان وهم سولت وبرتران ولوبو ودروو وخمسة فوارس من الحرس وكانوا جميعهم في منتهى البؤس والضنك . ولما قاربتهم قال الامبراطور مَن القادم . قال سولت هو الكولونيل جيرار يا مولاي . قال هل قابلت جروشي . قلت لا يا مولاي . فقال لم يعد يهمني شيء . ثم عطف رأس جوادهِ وهمّ بالرجوع الى ساحة القتال وحدهُ لو لم يحط بهِ الرجال ويرجعوهُ قسراً فاستسلم لارادتهم وسرنا لا ينبس احدنا ببنت شفة طول الليل حتى لاح لنا الفجر على بعد ثلاثين ميلاً من واترلو واشرفنا على شارلروا وكانت عربة الامبراطور تنتظرنا في جانب الطريق فترجلنا جميعاً . وكنت انتظر ان ينضم الينا بعض الجنود المتفرقة فلا نعود نخشى الكمين الراصد لنا في طريقنا فلم يأتنا احد . وبينا بلغنا المكان ما عتمت ان رأيت عن بعدٍ فرساناً يجرون الى جهتنا فتحققت انهم الكمين ورأيت انهُ ليس فينا من يستطيع المقاومة سواي وآخر من الحرس اما الباقون فلم يكن فيهم ولا في خيولهم شيء من القوة فصحت بجزع اواه قد جاء الالمان . وكان الامبراطور اذا استاء من احدٍ اهانهُ بكلام قاسٍ جدًّا فكأنهُ اغتاظ من انبائي فنظر اليَّ شزراً وقال اخرس ايها المهذار ثم قال انك جننت قبل ان تقول ان الالمان تأتي الينا من جهة فرنسا . فأثرت كلماتهُ فيَّ ولا طعن الحراب ولكنني صمتُّ وقد سامحت نابوليون من كل قلبي لا بل انتقمت منهُ على ذلك بعد فترةٍ قصيرة جدًّا . لانهُ ما كاد يتم كلامهُ حتى قال سولت حقًّا انهم المان يا مولاي وقد هلكنا لانهُ ليس بيننا من يستطيع الدفاع ولا تقدر خيولنا ان تحملنا بعد . ورأيت لاول مرةٍ في حياتي وجه نابوليون قد جمد كالصخر فوضع رجلهُ الواحدة على سلم العربة ووقف كأنهُ نسي العالم اجمع . اما انا فأدركت خطر الموقف وبأقل من لمح البصر وثبت الى جانبهِ وقلت لهُ هات دثارك وقبعتك يا مولاي وقبل ان ينزعها

هو أو يعلم كيف يفعل كنت قد انتشلت قبعتهُ فوضعتها على رأسي وارتديت دثارهُ ثم امتطيت جوادهُ المشهور بعد ان دفعت نابوليون الى داخل العربة . وكأن الجواد عرف قصدي قبلهم فانطلق بي كوميض البرق . وكان غرضي ان احول انظار الالمان عن الامبراطور واجعلهم يتبعوني ظانين انني هو فمثّلتهُ باللباس والركوب ونجحت حيلتي لانني ما ابعدت عنهم حتى رأيت الالمان قد حولوا وجهتهم تاركين جماعتنا وساعين في ادراكي . ولا تسلوا عن سروري بذلك حتى لو ادركوني وقطعوني بسيوفهم لكنت متُّ مسروراً لانني اكون قد انقذت الامبراطور وانتقمت منهُ عما قال لي . وبلغت رابيةً فاختلست النظر واذا بالالمان يطاردونني على بعد نحو مئتي متر فقط وكان عددهم تسعة فوارس ثم نظرت الى جهة الامبراطور فوجدت ان عربتهُ قد ابتعدت الى الجهة الاخرى يحف بها المارشالية الذين ذكرتهم وتخيل لي اني اسمع كلامهم واعجابهم بشجاعتي وعملي الذي انقذهم من الاسر والهلاك فتبسمت وتجددت فيَّ القوة فأحببت ان أري مطارديَّ ايضاً شيئاً يجعلهم لا ينسون الكولونيل جيرار ابداً . وكنت قد اتقنت في ركوبي هذا تقليد نابوليون جيداً حتى انني دليت رأسي بين كتفيَّ كما كانت عادتهُ اذا ركب . وساعدني جوادهُ في الوثوب فوق الصخور والجدران غير ان خيول مطارديَّ كانت ايضاً قوية فبقيت على نفس البعد مني الى ان بلغنا ساقية مآء دفعتُ اليها جوادي فخاضها بدون توقف. ولما بلغوها هم وقفت الخيول فجأة فسقط ثلاثة من الفرسان الى الارض ولم اعد اراهم بعد ذلك اما الستة الباقون فوصلوا الى وسط المياه حين كنت قد بلغت الشاطئ الثاني. فاهويت بيدي الى سرج الجواد لآخذ غدارةً فلم اجد ثم الى سيفي فوجدت انني قد تركتهُ معلقاً في سرج فرسي ڤيوليت ولكن وجدت عوضاً عنهُ سيف الامبراطور وهو احدب قصير فاضطررت الى الاكتفآء بهِ . ولما ابتعدت قليلاً رأيت ان مطارديَّ قد اصبحوا خمسةً فقط فان احدهم كان قد سقط عن جوادهِ في المياه فابتلعتهُ . وتبعني الخمسة بحماسة الا ان احدهم سبق رفاقهُ مسافةً فتباطأت في المسير قصداً حتى كاد يحاذيني فانثنيت اليهِ بسرعة البرق وضربتهُ بسيف الامبراطور

فاطرت رأسهُ و بقيت جثتهُ واقفة على ظهر الجواد الشارد بضع دقائق . فصاح الاربعة الباقون صياح الغيظ والحقد واجتهدوا في لحاقي للانتقام مني وكان احدهم ينادي باعلى صوتهِ قائلاً سلِّم أيها الامبراطور فالتسليم اولى . اما انا فضحكت منهُ وهززت سيفي الصغير في وجههِ غير مبالٍ بشيء . ثم احتلت على آخر فأذقتهُ ما أذقت الذي قبلهُ غير انهُ في هذه المرة دخل نصل السيف في أضلاعهِ فلم أستطع نزعهُ بالسرعة اللازمة وكاد يدركني الباقون فتركت السيف وفزت بنفسي مكتفياً بانهُ لم يبقَ من مطاردي الا ثلاثة فقط ولكنهم كانوا قد اقتربوا مني كثيراً وهم محاذون بعضهم لبعض فوجدت من الحماقة ان اقابلهم معاً وانا بلا سلاح . ثم سمعت طلقاً ناريًّا ورآني واذا بجوادي قد جثا الى الارض ولكنهُ نهض بسرعة فائقة وتابع جريهُ فشعرت ان الدم يسيل من فخذهِ اليسرى وكان قد أصيب . فعلمت اذ ذاك انني في خطر جسيم وصرت اود الوصول الى محل امين والتخلص من اولئك الملاعين . ثم مرت رصاصة اخرى فمسحت شعر رأسي فطار رشدي ولم اعد اهتمّ بشيء الا بالاسراع حتى بانت لي عن بعد قريةٌ صغيرة ورأيت قبة كنيستها فعرفتها للحال انهــا سانت اوناي حيث امرت فرقتي الهوسار ان توافيني . وبينما كنت افكر فيما اذا كانوا قد بلغوها اذا ببعض فرساني قد اقبلوا فما صدقت ان رأيتهم حتى صحت بهم مستغيثاً فوقفوا مبهوتين وقد ظنوني الامبراطور كما اخبروني بذلك فيما بعد . أما أنا فما بلغتهم حتى سقطت مع الجواد الى الحضيض من شدة الاعياء . ولما صرت بينهم ورأى مطاردي ذلك حرقوا بأسنانهم ونكصوا على أعقابهم فتبعهم بعض فرساني مسافةً ولكن ارجعهم التعب والضنك . وهكذا نجوت بعد ان اشتريت شرف نابوليون ولكن يا للاسف فانهُ لم تطل المدة بعد ذلك اكثر من ثلاثة اسابيع حتى أخذهُ الانكليز بعد ان سلم نفسهُ اليهم فأرسلوهُ الى جزيرة القديسة هيلانة . ولكن كفى فاني لا اذكر هذا الاسم الا وأشعر ان دم الشباب قد دب في عروقي فأودّ لو أجنــد جيشاً فلا أبقي من أولئك الملاعين الظلمة اكلة لحم البقر واحداً
